توهم الحرف الأصلي زائداً

والشواهد على ذلك

الشذوذ في قواعد اللغة العربية معروف . وقد اعتاد النحاة والشراح اذا شذت لفظة عن قاعدتها ، أن يقولوا انها شاذة ، من دون أن يعللوا شذوذها ، أو يذكروا سببه . ففعل أبى يأبى مثلاً جاء من الباب الثالث شذوذاً ، ولا أذكر انهم علّلوا سبب شذوذه . ومثله فعل استحوذ من دون اعلال شذوذاً . اللهم الا في ضرب واحد من الشذوذ : وهو أن يكون سببه (التوهم) فقد أكثر علماء اللغة من ذكر هذا السبب في طائفة كبيرة من الألفاظ الشاذة .

والتوهم ضربان : توهم الحرف الزائد أصلياً : كميم منطقة ، قالوا في الفعل منها تمنطق ، والقياس تنطّق . وبالعكس : أي توهم الحرف الأصلي زائداً .

وقد تتبّعتُ الشواهد على الضرب الأول ، فبلغت من الكثرة حداً رأيته كافياً في اعتبار هذا الضرب من التوهم قاعدةً تحتذى ، فيحمل على شواهدها المنقولة عن الفصحاء شواهد أخرى نُشبهها من كلام المولدين ، فنعتبرها صحيحةً سائغة الاستعمال ، ولا نخطّىء الكتّاب المعاصرين أو المولدين في استعمالها قال الخفاجي في كتابه (شفاء الغليل) : (لفظ الشُبّاك وان كان مولّداً لكنه ليس بخطأ) .

هذا ما أقوله في الضرب الأول [1] من الشذوذ المعلل وهو توهم الحرف الزائد أصلياً . أما الضرب الثاني وهو توهم الأصلي زائداً فقد أشرت اليه في خلال بحثي الأول ، ولم يكن قد علق بكفي من شواهده الا القليل . وها أنا ذا أبسط القول فيه :

---

(١) راجع ما نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد ٥ ص ٢٠٥ والمجلد ١٠ ص ١٢٩ والمجلد ١١ ص ٥٣٩) .

شبكة الألوكة
www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(قاعدة توهم زيادة الحرف الأصلي) : موضوع هذه القاعدة على عكس موضوع القاعدة الأولى كما أشرنا آنفاً إذ أن موضوع هذه توهم زيادة وموضوع تلك توهم أصالة .

وأول شواهد هذه القاعدة أي توهم الزيادة منع (أشياء) من الصرف وقد سبق لنا القول أن بعض النحاة جعل السبب في منعها زيادة الألف والهمزة في آخرها وأن أصلها شَيْئَاء وهو جمع شيء ، كما أن قَصْبَاء جمع لقصب . وهناك من جعل همزتها زائدة مانعة من الصرف ، لكنه لم يجعلها جمعاً كقصباء بل جمعاً كأنصباء في جمع نصيب : فأصل (أشياء) عنده أشْيِئَاء حُذفت الهمزة الوسطى فبقيت على وزن أفعال .

وكلا القولين لم يُعجب الكسائي رحمه الله ، فتأنف منها وتجنب المراوغة فيها قائلاً : لماذا لا نقول الحقيقة وهي أن (أشياء) وزنهُ (أفعال) وأنه جمع شيء ، كما أن (أفياء) جمع فيء . ووزنُ أفعال جمعاً لا يمنع من الصرف فهذه أفياء ليست ممنوعة ، فكان الواجب أن تكون (أشياء) غير ممنوعة أيضاً . ولكن العرب منعوها !! فكيف ذلك ؟

قال شيخنا الكسائي في الجواب : إنما منعوها لكثرة تكرّرها على أفواه الناس ، ومشابهتها لحمراء ، فأرادوا التخفيف عليهم فمنعوها من الصرف . وليس معنى هذه المشابهة التي قالها الكسائي إلا أن العرب اشتبه عليهم أمر همزة (أشياء) لوقوعها بعد ألف فظنوها زائدة كهمزة (حمراء) مع أنها أصلية كهمزة أفياء ، ومنعوها من الصرف بناءً على هذا الاشتباه بل هذا التوهّم . فمن قوله هذا أوْ مِن هنا نبدأ في تأسيس قاعدتنا الثانية أعني (قاعدة توهم الزيادة) أي توهّم الحرف الأصلي زائداً ونجعل (منع صرف أشياء) على رأي الكسائي (الشاهدَ الأول) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أما (الشاهد الثاني) فهو (بُراء) على وزن غُراب في جمع بريء: فإن قوماً منعوه أي منعوا بُراء من الصرف مع أن همزته أصلية لا زائدة. وقد جروا في منعه على خطتهم في جمع أشياء مذ جعلوا أصلها (شيئاء) أو (أشيئاء) وهذه أي (بُرَاء) جعلوا أصلها (بُرَءاء) جمعاً لبريء، على وزن فُقَهاء وكُرَماء جمعين لفقيه وكريم. لكن (برَءاء) لم تبق على حالتها بل تلاعبوا بها فحذفوا همزتها الأولى تخفيفاً، وجعلوها على وزن غُراب. فقالوا (بُراء) وإنما منعوها من الصرف ملاحظة لأصلها الذي هو (بُرَءاء) فإن ألفه وهمزته تفيدان معنى التأنيث في الجموع فتمنع براء من الصرف كما تمنع فقهاء وكرماء وشرفاء وأصدقاء. وهكذا (بُرَاء) التي أصلها (بُرَءاء). هذا ما قالوه في تخريج منع الصرف في بُرَاء عند من قال به، وهو تخريج فيه تعسف، وفرط تكلف، والأولى أن نخرّجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) استناداً الى قاعدة (توهم الزيادة) فإننا توهمنا زيادة همزة بُراء مع أنها أصلية. ومستندنا في هذا التوهم رأيُ الكسائي في تخريج منع صرف (أشياء) مذ قال إنها منعت لشابهتها لحمراء.

(الشاهد الثالث) أملاك في جمع مَلَك، وليس في هذا الشاهد منع صرف، وانما فيه جمع مَلَك على أملاك. ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلَك) أحد ملائكة السماء مشتق من الألوكة وهي الرسالة، وهكذا الملائكة، فإنهم موكلون بنقل الرسائل الى الأنبياء. فأصل مَلَك مألك، وجرى فيها قلب فقالوا ملأك. وخففوها ألفاً فقالوا مَلاك، وهو استعماله الشائع على ألسنة المسيحيين، ثم حذفوا الألف من مَلاك فقالوا مَلَك، وهو الاستعمال الشائع عند المسلمين.

وسواء أقلنا إن أصل مَلَك مألك أو ملأك أو مَلاك فإن همزته أصلية لا زائدة. وإذ كانت الجموع ترد الأشياء الى أصولها فيكون جمع مَلَك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إنما هو ملائك وملائكة ، بالهمزة الأصلية ، لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على (أملاك) ، كأفراس جمعاً لفَرَس ، وقد أشْبَهت (أملاك) التي هي جمع مَلَك السماء (أملاك) التي هي جمعُ لمِلك (المكسور اللام) أحد ملوك الأرض ، فهما أي أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً مختلفان معنىً وتخريجاً .

واذا قيل كيف جُمع مَلَك السماء على أملاك ؟ قالوا في الجواب إنه شاذ . وأرى أن يقال إن جمعه على أملاك مخرج على (قاعدة توهم الزيادة) أي زيادة الهمزة في مألك وملأك ، مع أنها أصلية كما مرّ . فكان القياس جمعها على ملائكة ، لأن الجموع ترد الأشياء الى أصولها كما لا يخفى . غير أن العرب توهموا الهمزة فيها (أي في مألك وملأك) زائدة ، وأن وزن مَلَك المخفف هو فَعَل بالتحريك ، وفَعَل الصحيح يجمع على أفعال ، فقالوا بناء على هذا التوهم أملاك ، كما قالوا ملائكة على الأصل .

(الشاهد الرابع) جمع منارة على منائر بالهمزة . وبيان ذلك أن الف منارة أصلية لا زائدة . لأن الكلمة مشتقة من النار أو النور ، فوزن منارة مفعلة لا فعالة . لكنهم توهموها أي توهموا الألف زائدة ، وقد ظهر أثر هذا التوهم في الجمع فقالوا منائر بالهمزة . والقياس منابر بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء إذا وقعتا في فعائل جمعاً أي بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين كياء فضيلة الزائدة يقال في جمعها فضائل ، وتبقيان على حالتيهما إذا كانتا أصليتين ، كواو مَنَارة ومَنَارة ، فيقال في جمعها مَنَاور ومَنَاور ، لكنهم في (مناور) قالوا منائر بالهمزة أيضاً بناءً على توهمهم ألفها زائدة . على أن قولهم في مناور منائر بالهمزة لا يمنع أن يقال فيه مناور بالواو أيضاً كما هو القياس .

(الشاهد الخامس) ما حكاه لنا شيخنا ابو العلاء المعري في كتابه (عَبَث الوليد) نقلاً عن الفراء قال : (إنهم أي العرب يشبهون النون الأصلية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالنون الزائدة ، قال : وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ، يقولون مررتُ بطحانَ ، يشبهون نونه الأصلية بالنون الزائدة . وذلك إذا سَمَّوا به) اهـ كلامه .

فنون الطَحْن أصلية وهي لام الكلمة وصيغة المبالغة من الطحن طحّان ، ووزنه فعّال ، كضرّاب من الضرب ، وشرّاب من الشُرب ، فهو إذاً مصروف ، لكنّ وقوع نونه بعد ألف جعل العرب يشبّهون (على حد تعبير الفراء) نونه بالنون التي تقع بعد ألف في صيغة فعلان كسكران ، فيمنع طحان من الصرف كما منع سكران . والفراء قال (يُشبّه العرب) ولا أرى التعبير بالتشبيه في هذا المقام بمحلّه : لأن العرب لا يخطر ببالهم إيقاع التشبيه بين حروف كلماتهم التي تتناثر عفواً من أفواههم . وانما هم لما لفظوا كلمة (طحّان) في (مررتُ بطحانَ) مثلاً توهّموا طحّان كسكران فأجْرَوْها مُجراها . وقول الفراء : وهذا إذا سَمّوا به أي سموا بطحان فتجتمع فيه علّتان ، العلمية المحقّقة وزيادة الألف والنون المتوهّمة — وقول الفراء أيضاً (وهذا عند الكوفيين أسوغ منه عند البصريين) يفهم منه أن اعتبار النون الأصلية زائدة في مثل (طحّان) يسُوغ عند البصريين لكنه عند الكوفيين أسوغ . ومعنى أنه أسوغ أي أكثر تشبّياً في الاستعمال . وهذا يُشعر بقياسيّة مررتُ بطحّان وعجّان ونحوهما . واذا كان مجمعنا يرى أن من سلامة اللغة توسيع دائرة التخاطب بها فلا بأس من تسويغ ما سوّغه البصريون بلهَ الكوفيين .

(الشاهد السادس) ما حكاه أبو العلاء المعري أيضاً في كتابه (عَبَث الوليد) معلّقاً على قول البحتري من أبيات أولها :

(لقد أمسك الله الخلافة بعدما ... وَعَتْ وتلافى سِرْبَها أن يُنفّرا)

وقال في تلك الأبيات :

(أتت بركات الأرض من كل وجهةٍ ... وأصبح غصنُ العيش فينانَ أخضرا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال أبو العلاء :

(شَعر فَيْنان وغصن فَيْنان من الفَنَن فوزنه فيعال) أي فتكون نونه أصلية لا زائدة ، فيصرف . ثم قال أبو العلاء (لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان اهـ) واذا كان على وزن فعلان كانت نونه زائدة كنون سكران ، فيُمنع من الصرف .

فقول المعري : (لكن يُترك صرف فينان كأنه على ون فعلان) لا معنى له إلا كون وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً أو معتبراً اعتباراً أو متوهماً توهماً ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين الذين نقلنا عباراتهم في بحثنا على القاعده الأولى أعني (توهم أصالة الحرف الزائد)

والفَنَن في اللغة : الغصن المتشعّب : فاذا قالوا فرع فَيْنان وشَعر فَيْنان ولمّة فينانة أرادوا أن لها فنونا من الذوائب . قال الشاعر :

(إمّا تَرَيْ شَمَطاً في الرأس حلّ به من بعد أسودَ داجي اللون فَيْنانِ)
(فقد أَرُوع قلوب الغانيات به حتى يَمِلْنَ بأجيادٍ وأعيانِ)

وأعيان هنا جمع عين بمعنى الباصرة .

(الشاهدُ السابع) نوعٌ من التوهم غريب : لا هو من توهّم الأصالة ولا هو من توهّم الزيادة ، وإنما هو من توهّم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخر . مثاله : لغات جمع لغة ، فإنه جمعُ مؤنث يُنصب بالكسرة ، تقول سمعتُ لغاتِ العرب ، لكن حكى الجوهري في صحاحه أن العرب يتوهّمون تاء جمع التأنيث زائدة كالتاء التي يوقف عليها هاءً في نحو قُضاة ورُواة ، فكما يقولون رأيت قضاةَ البلد بفتح تاء قضاةَ يقولون سمعتُ لغاتَ العَرَب بفتح تاء التأنيث . لكن الجوهري عبّر عن هذا التوهّم بالتشبيه ، فقال إنهم شبّهوا تاء لغات بتاء قضاة ، وهذه عبارته :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(وجمعها أي جمع لغة لُغي ولُغات أيضاً ، وقال بعضهم سمعتُ لغاتهم بفتح التاء ، وشبّهها بالتاء التي يُوقف عليها بالهاء اهـ) .

وزاد صاحب اللسان على ما قاله الجوهري قوله : قال ثعلب : قال أبو عمرو لأبي خَيْرَة : يا أبا خيرة ! سمعتَ لغاتهم فقال أبو خيرة : وسمعتُ لغاتهم . فقال أبو عمرو : يا أبا خيرة أريدُ أكشف منك جلداً . جلدُك قد رقّ . ولم يكن أبو عمرو سمعها اهـ) أي ولم يكن أبو عمرو سمعَ هذه اللغة التي نطق بها أبو خيرة . ولذا تهكّم به ، مع أنه أي أبا خيرة أعرابيٌّ ثقةٌ نُؤخذ عنه اللغة . فقال له أبو عمرو أريد أن آخذ اللغةَ عن آخر غيرك يكون جلده كثيفاً كجلود أعراب البادية . أما أنت يا أبا خيرة فقد لابست الحضارة ، وعاشرت أهلها ، فرقّ جلدك ، وفسَدَت لغتك مذ قلتَ سمعتُ لغاتهم . ولكن صاحبا اللسان والتاج أقرّا أبا خيرة على ما قال ، واعتذرا عن أبي عمرو بأنه لم يكن سمع ما حكاه أبو خيرة من تلكم اللغة التي من مقتضاها جواز (سمعت لغاتهم) .

هذه أيها السادة شواهد سبعة على أنَّ في اللغة العربية طريقة ثانية للتوسّع في تكاثر كلماتها ، وتسهيل أمر التخاطب بها . وهي اعتبار الحرف الأصلي زائداً وإجراؤه مُجرى الزائد . وقلّةُ هذه الشواهد لا تسمح بأن أقترح على المجامع اعتباره قياسيًا . وما يُدرينا لعلي أو لعل غيري يَعْثُر بكفه شواهد أخرى فيُضيفها الى شواهدي السبعة ، ويكون لنا من ذلك كثرة نرتقي بها الى تقدير الاقتراح ، وتأسيس القاعدة .

أما القاعدة الأولى (قاعدة توهم أصالة الحرف) التي عددنا من شواهده فوق الخمسين شاهداً فأرجو أن لا تحرم حظها من الحياة ، إن شاء الله .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net